الفصل الثالث

ويشتمل على :

١- غزوة خبير

٢- عمرة القضاء

٣- غزوة مؤتة

٤- فتح مكة

٥- غزوة حنين

٦- غزوة الطائف

٧- غزوة تبوك

١ـ غزوة خيبر

في السنة السابعة للهجرة ٦٢٨م

لما عاد رسول الله ﷺ من الحديبية أقام بالمدينة ذا الحجة وبعض المحرم وسار إلى خيبر في ألف وأربعمائة رجل معهم مائتان فارس وكان مسيره إلى خيبر في المحرم سنة سبع واستخلف على المدينة سباع بن عرفطة الغفاري فمضى حتى نزل بجيشه بالرجيع ليحول بين أهل خيبر وغطفان لأنهم كانوا مظاهرين لهم على رسول الله ﷺ وقصدت غطفان خيبر ليظاهروا يهود عليه ثم خلفوا المسلمين أن يخلفوهم في أهليهم وأموالهم فرجعوا ودخلوا بين رسول الله ﷺ ويهود فسار رسول الله ﷺ وقال في مسيره لعامر بن الأكوع عم سلمة بن عمرو بن الأكوع : أحد لنا فنزل وحداهم يقول:

والله لولا الله ما اهتدينا ۞ ولا صدقنا ولا صلينا

فانزل سكينة علينا ۞ وثبت الأقدام إن لاقينا

فقال له رسول الله ﷺ رحمك الله فقال له عمر هلا أمتعتنا به يا رسول الله وكان إذا قالها لرجل قتل فلما نازلوا خيبر بارز عامر فعاد عليه سيفه فجرحه جرحا شديدا فمات منه فقال الناس إنه قتل نفسه فقال سلمة بن أخيه للنبي ﷺ ما قالوا فقال كذبوا بل له أجره مرتين فلما أشرف عليها قال لأصحابه قفوا ثم قال اللهم رب

السماوات وما أظللن ورب الأراضين وما أقللن ورب الشياطين وما أضللن ورب الرياح وما أذرين نسألك خير هذه القرية وخير أهلها وخير ما فيها ونعوذ بك من شرها وشر أهلها وشر ما فيها أقدموا بسم الله وكان يقول ذلك لكل قرية يقدمها ونزل على خيبر ليلاً ولم يعلم أهلها فخرجوا عند الصباح إلى عملهم بمسالحهم ومكاتلهم فلما رأوه عادوا وقالوا : محمد والله محمد والخميس معه يعنون الجيش فقال النبي ﷺ : الله أكبر خربت خيبر إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين ثلاثا ثم حصرهم وضيق عليهم وبدأ بالأموال يأخذها مالاً مالاً وبفتحها حصناً حصناً فكان أول حصن افتتحه حصن ناعم وعنده قتل محمود بن سلمة ألقيت عليه منه رحى فقتلته ثم القموص حصن بني أبي الحقيق وأصاب منهم رسول الله ﷺ سبايا منهم صفية بنت حيي بن أحطب وكانت عند كنانة بن الربيع بن أبي الحقيق وبنتي عم لها فاصطفاها رسول الله ﷺ لنفسه وفشت السبايا في المسلمين وأكلوا لحوم الحمر الإنسية فنهاهم رسول الله ﷺ عنها وكان الزبير بن باطا القرظة قد مَنَّ على ثابت بن قيس بن شماس في الجاهلية يوم بعاث فأطلقه فلما كان الآن أتاه ثابت فقال له أتعرفني ؟ قال وهل يجهل مثلي مثلك ؟ قال أريد أن أجزيك بيدك عنده قال إن الكريم يجزي الكريم فأتى ثابت رسول الله ﷺ فقال كان للزبير عندي يد أريد أن أجزيه بها فهبه لي فوهبه له فأتاه فقال له إن النبي ﷺ قد وهب لي دمك فهو لك قال شيخ كبير لا أهل له ولا ولد فستوهب ثابت أهله وولده من رسول الله ﷺ فوهبهم

له فقال الزبير أهل بيت بالحجاز لا مال لهم فاستوهب ثابت ماله من رسول الله ﷺ فوهبه له فمنَّ عليه بالجميع فقال الزبير أي ثابت ما فعل الذي كان وجهه مرآة صقلية يتراءى فيها عذارى الحي كعب بن أسد ؟ قال قتل قال فما فعل سيد الحضر والبادي حيي بن أحطب ؟ قال : فما فعل المجلسان يعني كعب بن قريظة وبني عمرو بن قريظة ؟ قال : ذهبوا قال : فإني أسالك يا ثابت بيدي عندك إلا ما ألحقتني بهم فوالله ما في العيش بعدهم خير فقتله ثم افتتح رسول الله ﷺ حصن الصعب وهو أكثرهم طعاما وودكاً ثم قصد حصنهم الوطيح والسلالم وكانا آخر ما افتتح حاصرهم رسول الله بضع عشرة ليلة فخرج منه مرحب اليهودي وقد جمع سلاحه وهو يقول:

قد علمت خيبر أني مرحب ۞ شاكي السلاح بطل مجرب

أطعن أحيانا وحينا أضرب ۞ إذا الليوث أقبلت تلتهب

كان حماي كالحمى لا يقرب

وسأل المبارزة فخرج إليه محمد بن سلمة وقال أنا والله الموتور الثائر قتلوا أخي فأقره رسول الله ﷺ بمبارزته وقال اللهم أعنه عليه فخرج إليه فتقاتلا طويلا ثم حمل مرحب على محمد بن سلمة فضربه فاتقاه بالدرقة فوقع سيفه فيها فعضت عليه وأمسكت فضربه محمد بن سلمة حتى قتله ثم خرج بعده أخوه ياسر وهو يقول :

قد علمت خيبر أني ياسر ۞ شاكي السلاح بطل مغاور

وطلب المبارزة إليه الزبير بن العوام فقتله الزبير وقيل أن الذي قتل مرحبا وأخذ الحصن على بن أبي طالب وهو الاشهر والأصح قال بريدة الأسلمي كان رسول الله ﷺ ربما يخرج إلى الناس فأخذ أبو بكر الراية من رسول الله ﷺ ثم نهض فقاتل قتالا شديدا ثم رجع فأخذها عمر فقاتل قتالا شديداً هو أشد من القتال الأول ثم رجع فأخبر بذلك رسول الله ﷺ فقال أما والله لأعطيها غدا رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله يأخذها عنوة ثم لبث فجاء عليّ كان قد تخلف بالمدينة لرمد لحقه فلما قال رسول الله ﷺ مقالته هذه تطاولت لها قريش ورجا كل واحد منهم أن يكون صاحب ذلك فأصبح فجاء عليّ على بعير له حتى أناخ قريبا من خباء رسول الله ﷺ وهو أرمد قد عصب عينيه بشقة بُرده قطري فقال رسول الله ﷺ ما لك ؟ قال رمدت بعدك فقال له أدن مني فدنا منه فتفل في عينيه فما شكا وجعا حتى مضى لسبيله ثم أعطاه الراية فنهض بها معه وعليه حلة حمراء فأتى خيبر فأشرف عليه رجل من يهود فقال من أنت ؟ قال أنا علي بن أبي طالب فقال اليهودي غلبتم يا معشر يهود وخرج مرحب صاحب الحصن وعليه مغفر يماني قد نقبه مثل البيضة على رأسه وهو يقول :

قد علمت خيبر أنى مرحب ۞ شاكي السلاح بطل مجرب

فقال علي :

أنا الذي سمتنى أمى حيـــدره ۞ كليث غابات كريهة المنظـــرة

أكيلهم بالسيف كيل السندره

فاختلفا ضربتين فبدره عليّ فضربه فقدّ الححفة والمعفـــر ورأســـه حتى وقع في الأرض وأخذ السيف،قال أبو رافع مولى رســـول الله ﷺ خرجنا مع عليّ حين بعثه رسول الله ﷺ برايته إلى خيبر فلمـــا دنا من الحصن خرج إليه أهله فقاتلهم فضربه يهودي فطرح ترســه من يده فتناول عليّ باباً كان عند الحصن فتترس به عن نفسه فلـــم يزل في يده وهو يقاتل حتى فتحها الله على يديه ثم ألقاه مـــن يـــده حين فرغ فلقد رأيتني في نفر سبعة ثامنهم نجهد على أن نقلب ذلـك فما نقلبه وكان فتحها في صفر فلما فتحت خيبر جاء بلال بصفيـــة وأخرى معها على قتلى يهود فلما رأتهم التي مع صفية صرخـــت وصكت وجهها وحثت التراب على رأسها فاصطفى رســول الله ﷺ صفية وأبعد الأخرى وقال إنها شيطانة لأجل فعلـــها وقـــال لبـــلال أنزعت منك الرحمة ؟جئت بهما على قتلاهما وكانت صفية قد رأت في منامها وهي عروس لكنانة بن أبي الحقيق أن قمراً وقـــع فـــي حجرها فعرضت رؤياها على زوجها فقال ما هذا ؟ إلا أنك تتمنيـــن ملك الحجاز محمدا ولطم وجهها لطمة اخضرت عينها منها فـــأتى بها رسول الله ﷺ وبها أثر منها وسألها ما هو فأخبرته ودفع كنانـــة بن أبي الحقيق إلى محمد بن سلمة فقتله بأخيه محمـــود وحـــاصر

رسول الله ﷺ حصني أهل خيبر الوطيح والسلالم فلما أيقنوا بالتهلكة سألوه أن يسيرهم ويحقن دماءهم فأجابهم إلى ذلك وكان قد حاز الأموال كلها الشق ونطاة والكتيبة وجميع حصونهم فلما سمع بذلك أهل فدك بعثوا إلى رسول الله ﷺ يسألونه أن يسيرهم ويخلون له الأموال ففعل ذلك ولما نزل أهل خيبر على ذلك سألوا رسول الله ﷺ أن يعاملهم في الأموال على النصف وأن يخرجهم إذا شاء فساقهم على الأموال على الشرط الذي طلبوا وفعل مثل ذلك أهل فدك وكانت خيبر فيئا للمسلمين وكانت فدك خالصة لرسول الله ﷺ لأنهم لم يجلبوا عليها بخيل ولا ركاب .

أمر الشاة المسمومة

ولما استقر رسول الله ﷺ أهدت له زينب بنت الحرث امراة سلام بن مشكم شاة مصلية مسمومة فوضعتها بين يديه فأخذ رسول الله ﷺ منها مضغة فلم يسغها ومعه بشر بن البراء بن معرور فأكل بشر منها وقال رسول الله ﷺإن الشاة تخبرني أنها مسمومة ثم دعا المرأة فاعترفت فقال ما حملك على ذلك ؟قالت بلغت من قومي ما لم يخف عليك فقلت إن كان نبيا فسيخبر وإن كان ملكا استرحنا منه فتجاوز عنها ومات بشر بن البراء من تلك الأكلة وقال رسول الله ﷺ في مرضه الذي مات فيه هذا الأوان وجدت انقطاع أبهري من أكلة خيبر فكان المسلمون يرون أنه مات شهيدا مع كرامة النبوة .

وادي القـــرى

ولما فرغ رسول الله ﷺ من خيبر إنصـــرف إلـــى وادي القـــرى فحاصر أهله ليالي فافتتحه عنوة وفي حصاره قتل مدعـــم مولـــى رسول الله ﷺ الذي أهداه له رفاعة بن زيد الجذامي فقال المسلمون هنيئا له الجنة فقال رسول الله ﷺكلا والذي نفس محمـــد بيـــده إنَّ شملته الآن لتشتعل عليه نارا وكان غلها من المسلمين يـــوم خيـــبر فسمعه رجل فأتاه فقال يا رسول الله أصبت شراكين لنعلين لي كنت أخذتهما فقال رسول الله ﷺ يقد لك مثلها من النار وترك رسـول الله ﷺ النخل في أيدي أهل الوادي وعاملهم نحو ما عامل أهل خيـــبر فبقوا كذلك إلى أن ولىَّ عمر الخلافة فأجلاهم وقيل أنه لـــم يجلـــهم لأنها خارجة عن الحجاز .[١٣٦]

تيمـــاء

ولما بلغ يهود تيماء خبر إستسلام أهل خيبر ثم فدك ووادي القـــرى لم يبدوا أي مقاومة ضد المسلمين بل بعثـــوا مـــن تلقـــاء أنفســـهم يعرضون الصلح فقبل رسول الله ﷺ وأقاموا بأموالهم وكتب بذلـــك كتابا .

---

[١٣٦] دعوة للتأمل في السيرة النبوية للمؤلف صـــ ١٩٣ ، ١٩٧

نص الكتـــاب

هذا كتاب محمد رسول الله لبني عدي أن لهم الذمة وعليهم الجزيـــة ولا عداء ولا جلاء الليل مد والنهار شد وكتب الكتاب خـــالد بـــن سعيد .[١٣٧]

عودة الرسول إلى المدينة

ثم أخذ رسول الله ﷺ في العودة إلى المدينة وفي الطريـــق دخـــل عليهم الليل فنام رسول الله ﷺ وأصحابه فلم يســـتيقظ أحـــد حتـــى ضربتهم الشمس فاستيقظ رسول الله ﷺ ثم صلى الفجـــر بالنـــاس وشهد معه نساء المسلمين فرضخ لهم من الفيء أي أعطاهم أقل من سهم الرجل بما يرضيهن .[١٣٨]

الحجاج السلمي

كان الحجاج بن علاط السلمي قد أسلم وماله وامرأته وولده في مكة فخرج حتى إذا قدم مكة وجد بثنية البيضاء رجـــالا مـــن قريـــش يستمعون الأخبار ويسألون عن أمر رسول الله ﷺ وقد بلغـــهم أنـــه سار إلى خيبر وهي قرية الحجاز ريفا ومنعة ورجـــالاً فلمـــا رأوا الحجاج ولم يكونوا قد علموا بإسلامه قالوا عنده والله الخبر أخبرنـــا

---

[١٣٧] الرحيق المختوم صـــ٣٧٨

[١٣٨] الكامل في التاريخ لابن الأثير ج٢ صـــ١٥١

يا أبا محمد قد بلغنا أن القاطع قد سار إلى خيبر وهي بلـــد يـــهود وريف الحجاز .

قال لهم الحجاج قد بلغني ذلك وعندي من الخبر ما يسركم قال لـــهم هزم محمد هزيمة لم تسمعوا بمثلها قط وقتل أصحابـــه قتـــلاً لـــم تسمعوا بمثله قط وأسر محمد أسراً.

وقالوا لا نقتله حتى نبعث به إلى أهل مكة فيقتلوه بين أظهرهم بمـــن كان أصاب من رجالهم فأذاعوا الخبر وقـــالوا هـــذا محمـــد إنمـــا تنتظرون أن يقدم به عليكم فيقتل بين أظهركم فقال لـــــهم الحجـــاج أعينوني على جمع مالي بمكة وعلى غرمائي حتى أقدم خيبر قبـــل أن تسبقني التجار إلى ما هنالك حتى أصيـــب مـــن مـــال محمـــد وأصحابه من فرص البيع فجمعوا له ماله كله ثم أخذ ماله الذي عند زوجته وخرج إلى المدينة .[١٣٩]

النهي عن نكاح المتعة

نهى عليه السلام وهو بخيبر عن نكاح المتعة وهو النكاح لأجل وقد كان حلاً في الجاهلية واستعمل في بدء الإسلام حتى حرمه الشـــرع في هذه السنة ونهى كذلك عن أكل لحوم الأهلية فأكفـــأ المســـلمون قدورها بعد أن نضجت ولم يطعموها .[١٤٠]

---

[١٣٩] سيرة خاتم المرسلين ص ٣٢٦

[١٤٠] نور اليقين ص١٩٥

عن علي بن أبي طالب رضى الله عنه قال : إن رسول الله ﷺ نهى عن متعة النساء يوم خيبر وعن أكل لحوم الحمر الإنسية .[١٤١]

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : إن النبي ﷺ نهى عن المتعة وعن الحمر الأهلية زمن خيبر .[١٤٢]

وإن المتأمل في هذه الأحاديث وغيرها من الأحاديث التي وردت في هذا الشأن يجد أن نكاح المتعة محرم تحريماً مؤبداً إلى يوم القيامة بخلاف ما يقوله بعض الفرق أن نكاح المتعة محلل ويضربون بالأدلة الصحيحة الصريحة الدالة على التحريم عرض الحائط فها هو سيدنا عليّ كرم الله وجهه الذي تربى في بيت النبوة يروى الحديث الدال على تحريم المتعة والحديث رواه الإمام البخاري في المجلد السابع ص ٥٥٠ كتاب المغازي لمن أراد الإطلاع عليه .

---

[١٤١] رواه البخاري ج ٧ ص ٥٥٠ المغازي

[١٤٢] رواه البخاري ج ٩ ص ٧١ النكاح

٢ـ عمرة القضاء :
في السنة السابعة للهجرة ٦٢٩م.

خرج رسول الله في ذي القعدة في الشهر الذي صده فيه المشركين معتمراً عمرة القضاء مكان عمرته التي صدوه عنها . واستعمل الرسول -ﷺ- على المدينة عويف بن الأخبط وخرج مع رسول الله -ﷺ- والمسلمون الذين كانوا معه ممن صد معه في عمرته وخلت مكة إلا من الجماعة الصغيرة التي احتشدت فوق سطح دار الندوة:فكان سهلاً على الرسول -ﷺ- أن يفتحها غير أن نفسه الكريمة التي لاترضى بإقتراف مثل ذلك الغدر كانت منصرفة إلى الله وكلها خشوع وتقوى فتقدم متعلياً ناقته القصواء مسلماً زمامهما لعبد الله بن رواحة ومن حوله موكب الصحابة.[١٤٣]

وعندما دخل النبي ﷺ- مكة قال :

خلو بني الكفار عن سبيله

خلوا فكل الخير في رسوله

يا رب إني مؤمن بقيله

أعرف حق الله في قبوله

نحن قتلناكم على تأويله

كما قتلناكم على تنزيله

ويذهل الخليل عن خليله [١٤٤]

---

[١٤٣] محمد رسول الله – دكتور عبد الحليم محمود ص ٢٦٤ طبعة دار المعارف بمصر

[١٤٤] سيرة خاتم المرسلين ص ٣٣٠

وطاف رسول الله ﷺ وأدى عمرته وأقام بمكة ثلاثاً جاء في نهايتها نفر من قريش يذكرونه بانقضاء الأجل المضروب ويقولون له أخرج عنا فقال لهم الرسول ﷺ لو تركتموني فأعرست بين أظهركم وصنعنا لكم طعاما فحضرتموه . قالوا لا حاجة لنا في طعامك فاخرج عنا . وتزوج رسول الله ميمونة بنت الحرث زوجه إياها العباس بن عبد المطلب .

وخرج رسول الله ﷺ وخلف مولاه أبا رافع على ميمونة حتى أتاه بها وبنى بها في سرف ثم انصرف رسول الله ﷺ إلى المدينة في ذي الحجة سنة سبع من الهجرة . وفي هذه العمرة نزل قول الله تبارك وتعالى **﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لاَ تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا(٢٧)﴾**[١٤٥]

هكذا تمت عمرة رسول الله ﷺ ووصل إلى غايته المنشودة رغم غضب مشركي قريش الذين أبوا أن يشاهدوا عدوهم وهو يقضي عمرته . وسميت هذه العمرة بعمرة القضاء إما لأنها كانت قضاء عن عمرة الحديبية أو لأنها وقعت حسب المقاضاة أي المصالحة التي وقعت في الحديبية وقيل أنها تسمى بأربعة أسماء :

القضاء – القضية – القصاص – الصلح[١٤٦]

---

[١٤٥] سورة الفتح الآية رقم ٢٧

[١٤٦] الرحيق المختوم ص ٣٨٦

٣ـ غـــزوة مؤتـــة

في السنة الثامنة للهجرة ـ ٦٣٠ م

سبب الغزوة

بعث رسول الله ﷺ الحارث بن عمير الأزدي بكتابه إلى شـــرحبيل بن عمرو الغساني حاكم "بصرى" التابع لقيصر ملك الروم فأوثقـــه رباطا ثم قدمه فضرب عنقه ولم تجر العادة بقتل الرسل والســـفراء فبلغ رسول الله ﷺ ذلك فاشتد عليه وعزم أن يثأر له ثأراً عـــاجلاً وإن كان لم يخف عليه ما تعترض ذلك من عقبات .

تجهيز الجيش

جهز الرسول ﷺ جيشا عدده ثلاثة آلاف وولى عليهم زيد بن حارثة وقال : إن أصيب فجعفر بن أبي طالب فإن أصيب فعبـــد الله بـــن رواحة .

تحرك الجيش

تحرك الجيش في جمادي الأولى سنة ثمان مـــن الـــهجرة وخـــرج المسلمون فودعوا الجيش وأمراءه وسلموا عليهم وقالوا لهم صحبكم الله ودفع عنكم وردكم إلينا صالحين وودع عبـــد الله بـــن رواحـــة رسول الله ﷺ وأنشد قائلا :

لكنـي أسـأل الرحمـن مغفـرة ✿ وضربة ذات فرع تقـذف الزبـدا[١٤٧]

أو طعنـة بيـدي مـران مجـهزة ✿ بحربـة تنفـذ الأحشـاء والكبـدا

حتى يقولا إذا مروا على جدثي[١٤٨] ✿ يا أرشد الله مـن غـاز وقـد رشـدا

ثم مضوا حتى نزلوا معان من أرض الشام فبلغ النـاس أن هرقـل نزل مآب من أرض البلقاء في مئة ألف من الروم وانضم إليهم مـن لخم وجذام ومن قبائل العرب مائة ألف .

فلما بلغ ذلك المسلمين أقاموا على معان ليلتين يفكرون في أمرهـم وقالوا نكتب إلى رسول الله ﷺ فنخبره بعدد عدونا فإمـا أن يمدنـا بالرجال وإما أن يأمرنا فنقضي له قال فشجع عبد الله بن رواحـة وقال يا قوم والله إن التي تكرهون للتي خرجتم تطلبون الشهادة وما نقاتل الناس بعدد ولا قوة فإنما إحدى الحسنيين إما ظـهور وإمـا شهادة قال فقال الناس قد صدق والله بن رواحة فمضى الناس.[١٤٩]

في أرض المعركة

تقدم الجيش حتى كانوا بتخوم البلقاء لقيتهم جموع هرقل من عـرب وروم بقرية من قرى البلقاء يقال لها مشارف ودنا العـدو وتجمـع

---

[١٤٧] ذات فرع أي ذات سعة والزبدا أي رغوة الدم

[١٤٨] الجدث أي القبر

[١٤٩] سيرة ابن هشام ج ٤ ص ١٧

المسلمون في قرية يقال لها مؤتة ودارت فيها معركة شديدة قتل فيها زيد بن حارثة ثم خلفه جعفر وهو يقول :

يا حبذا الجنة واقترابها ۞ طيبة وباردا شرابها

والروم روم قد دنا عذابها ۞ كافرة بعيدة أنسابها

على إذ لاقيتا ضرابها

وكان جعفر قد أخذ اللواء بيمينه فقطعت فأخذه بشماله فقطعت فاحتضنه بعضديه حتى قتل وقد جعل الله له جناحين في الجنة ويسمى ذا الجناحين[١٥٠] . فلما قتل جعفر أخذ الراية عبد الله بن رواحة ثم تقدم فتردد بعض التردد ثم قال يخاطب نفسه .

أقسمت يا نفس لتنزلنه ۞ طائعة أولا لتكرهنه

إن أجلب الناس وشدوا الرنة ۞ مالى أراك تكرهين الجنة

قد طالما قد كنت مطمئنة ۞ هل أنت إلا نطفة فى شنة

وقال أيضا :

يا نفس إن لم تقتلى تموتى ۞ هذا حمام الموت قد صليتى

وما تمنيت فقد أعطيتى ۞ إن تفعلى فعلها هديتى

---

[١٥٠] سيرة خاتم المرسلين ص ٣٣٣

ثم نزل عن فرسه وتقدم فقاتل حتى قتل واشتد الأمر على المسلمين وكلب عليهم العدو .[١٥١]

تنبؤ الرسول بما حدث للمسلمين مع الروم:

عندما أصيب القوم أطلع الله رسوله ﷺ ما لاقاه جيشه فنادى في الناس بالصلاة جامعة ثم صعد على المنبر وعيناه مغرورقتان وصاح " أيها الناس باب خير باب خير عن جيشكم هذا الغازي إنهم انطلقوا فلقوا العدو فقتل زيد شهيداً فاستغفروا له . ثم أخذ الراية جعفر فقاتل بها حتى قتل شهيداً ثم صمت رسول الله ﷺ حتى تغيرت وجوه الأنصار وظنوا أنه قد كان في عبد الله بن رواحة بعض ما يكرهون ثم قال ثم أخذها عبد الله بن رواحة فقاتل بها حتى قتل شهيداً ثم قال لقد رفعوا إلى الجنة فيما يرى النائم على سُررٍ من ذهب فرأيت في سَريرِ عبد الله بن رواحة إزوراراً عن سريريّ صاحبيه فقلت عم هذا فقيل لي مضى وتردد عبد الله بعض التردد ثم مضى.[١٥٢]

القيادة الحكيمة

واصطلح الناس بعد جعفر على خالد بن الوليد رضى الله عنه فأخذ الراية ودافع القوم وكان شجاعاً حكيماً يعرف سياسة الحرب فانحاز

---

[١٥١] الكامل ج ٢ ص ١٦٠

[١٥٢] محمد رسول الله – د. محمد عبد الحليم محمود ص ٢٦٩ وسيرة ابن هشام ص ٢٢

بالجيش الإسلامي إلى الجنوب وانسحب العدو نحو الشمال وأرخى الليل سدوله حتى انصرف الناس وكلا الفريقين إغتنم السلامة ورأى المصلحة في عدم التحرش ومتابعة القتال يقول اللواء محمود شيت معروف أن عملية الإنسحاب تعد أصعب العمليات العسكرية لاحتمال انقلاب الإنسحاب إلى هزيمة والهزيمة كارثة تؤدي إلى خسائر فادحة بالمنهزمين ولا تعد خسائر المسلمين الضئيلة في مؤتة شيئا يذكر بجانب الفائدة العسكرية التي أفادها الإطلاع على خواص قوات الروم وتنظيمها وتسليحها وأساليب قتالها مما اتضح في المعارك التي خاضها المسلمون فيما بعد .

ووزع خالد عدداً غير قليل من رجاله في خط مؤخرة جيشه أحدثوا حين أصبح الناس ضجة عظيمة أدخلت إلى روع العدو أن مدداً جاء من المدينة فتهيب الروم المسلمين وقالوا إذا كان ثلاثة آلاف فعلوا بنا ما قد رأيناه فكيف إذا جاءهم المدد الذي لا يعرف عدده وقوته فتقاعس الروم عن مهاجمة الجيش الإسلامي وكفى الله المؤمنين القتال.[١٥٣]

---

[١٥٣] زاد المعاد " ج ١ ص ٤١٥ و " سيرة ابن هشام " ج ٤ ص ١٨ " والرسول القائد "محمود شيت ص ٢٠٦ ، ٢٠٧ و " المغازي للواقدي " و " السيرة النبوية " للندوى ص ٣٢٦

رجوع الجيش إلى المدينة

ثم عاد بالجيش خالد بن الوليد ومن يومئذ سمى خالد سيف الله ولما رجع الجيش ودنا من المدينة لقيهم رسول الله ﷺ والمسلمون فأخذ عبد الله بن جعفر فحمله بين يديه فجعل الناس يحثون التراب على الجيش ويقولون يا فرار في سبيل الله ويقول رسول الله ﷺ ليسوا بالفرار ولكنهم الكرار إن شاء الله تعالى[١٥٤]

شهداء مؤتة

١. جعفر بن أبي طالب
٢. زيد بن حارثة
٣. عبد الله بن رواحة
٤. مسعود بن الأسود
٥. وهب بن سعد بن أبي سرح
٦. عباد بن قيس
٧. الحارث بن النعمان
٨. سراقة بن عمرو
٩. أبو كليب بن عمرو بن زيد
١٠. جابر بن عمرو بن زيد
١١. عمرو بن سعد بن الحارث
١٢. عامر بن سعد بن الحارث (١٥٥)

---

[١٥٤] الكامل ج ٢ صـ ٢١

[١٥٥] سيرة خاتم المرسلين ص ٣٣٥

٤ـ فتح مكة

في السنة الثامنة للهجرة – ٦٣٠ م

لقد شاءت حكمة الله تعالى أن تفتح مكة بدون قتال يذكر وأن يعود إليها الرسول وأصحابه آمنين مطمئنين مرفوعي الرأس تحيطهم عناية الله ورعايته لقد خرجوا متجهين لفتح مكة لعشر مضين من شهر رمضان المبارك عام ثمان للهجرة وتم فتح مكة للمسلمين لعشر بقين منه .

نقض الصلح

بعد صلح الحديبية الذي كان من نصوصه أن من أحب أن يدخل في عقد رسول الله وعهده دخل فيه ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه فدخل بنو بكر بن عبد مناة بن كنانة في عقد قريش وعهدهم ودخلت خزاعة في عقد رسول الله ﷺ وعهده وقد كانت بين القبيلتين دماء في الجاهلية .

فنقضت قريش عهدها مع رسول الله ﷺ في صلح الحديبية بمعاونتها قبيلة بني بكر حلفائها على قتال خزاعة حلفاء المسلمين فأصابوا منهم رجلاً وانحازت خزاعة إلى الحرم إذ لم تكن متأهبة لحرب فتبعهم بنو بكر يقتلونهم وقريش تمدهم بالسلاح وتعينهم على البغي .[١٥٦]

---

[١٥٦] فقه السيرة للغزالي ص ٤٠٣

خروج عمرو بن سالم الخزاعي ومن معه إلى الرسول بالمدينة

لما تظاهرت قريش على خزاعة وأصابوا منهم ما أصابوا ونقضوا ما كان بينهم وبين رسول الله ﷺ من العهد والميثاق وخرج عمرو بن سالم الخزاعي على رأس وفد منهم إلى المدينة وأخبروا الرسول ﷺ بما كان من أمرهم هذا الغدر الذي اشتركت فيه قريش ثم وقف عمرو بن سالم الخزاعي ورسول الله ﷺ في المسجد والناس حوله فأنشد قائلا :

يا رب إنى ناشد محمدا ۞ حلف أبينا وأبيه الأتلدا

فوالد كنا وسنت ولدا ۞ ثمت أسلمنا فلم ننزع يدا

فانصر رسول الله نصراً اعتدا ۞ وادع عباد الله يأتوا مددا

إن سيم خسفا وجهه تربدا ۞ فى فيلق كالبحر يجري مزبدا

إن قريشا أخلفوك الموعدا ۞ ونقضوا ميثاقك المؤكدا

وجعلوا لى فى كداء رصدا ۞ وزعموا أن لست أدعو أحدا

وهم أذل وأقل عددا ۞ وهم بيتونا بالوتير هجدا

وقتلونا ركعا وسجدا

فأجابه رسول الله ﷺ نصرت يا عمرو بن سالم فلأمنعنكم مما أمنع منه نفسي .

أدركت قريش ما وقعت فيه من خطأ فادح وأرادت أن تتدارك هـذا الخطأ قبل أن يستفحل الأمر بينها وبين المسلمين وأن تداوي الجرح قبل أن يستعصي علاجه فأرسلت أبا سفيان إلى المدينة ليصلح مـا أفسده الغدر . ووصل أبو سفيان المدينة وقصد أول ما قصد بيـت ابنته أم حبيبة زوج الرسول ﷺ وقد أراد أن يجلس علـى فـراش رسول الله ﷺ فطوته عنه فقال يا بنية أرغبت به عني . أم رغبـت بي عنه ؟ فقالت ما كان لك أن تجلس على فـراش رسـول الله ﷺ وأنت مشرك نجس لقد أصابك بعدى شر . وتلقى أبو سـفيان أول صدمة موجعة من ابنته كان لها وقع مؤلم في نفسه[١٥٧]

خرج أبو سفيان ثم ذهب إلى المسجد قاصداً الرسول ﷺ وكلمه فيما جاء لأجله وعرض عليه أن يمد أجل الهدنة .واعتذر عمـا حـدث لقبيلة خزاعة فأعرض عنه الرسول ﷺ وأبى أن يكلمه .فذهب إلى أبي بكر وطلب إليه أن يكلم رسول الله ﷺ فرفض ثم أتى عمر بـن الخطاب واستشفع به فأغلظ له عمر الرد فتركه إلى علىّ فرد عليـه والله يا أبا سفيان لقد عزم رسول الله ﷺ على أمر ما نسـتطيع أن نكلمه فيه ثم نصحه أن يعود من حيث جاء فرجع أبو سـفيان إلـى قومه يخبرهم بما لقى من صدود وبذلك فشلت محاولة قريش .

---

[١٥٧] إنتصارات المسلمين الحاسمة في رمضان إعداد وزارة الأوقاف بالكويت ص ٨٧

إستعداد المسلمين للفتح :

أمر رسول الله ﷺ المسلمين أن يستعدوا لفتح مكة واستعان على أمره بالكتمان ثم أعلم الناس أن يجدوا ويتجهزوا وقال اللهم خذ العيون والأخبار عن قريش حتى نبغتها في بلادها ولما كان المجتمع الإسلامي المدني مجتمعاً بشرياً يعيش في واقع الحياة وبين مشاعر الإنسانية وخواطر النفس ورغباتها كان الأفراد فيه يصيبون ويخطئون وقد يكونون مؤولين في تصرفاتهم وأحكامهم وقد يجانبهم الصواب في هذا التأويل وذلك من خصائص المجتمعات البشرية التي تتمتع بالحرية والثقة .

وكان رسول الله ﷺ حين لا يقرهم على هذا الخطأ يلتمس لهم العذر ويتسامح معهم وكان من أوسع الناس صدراً مع هؤلاء المخطئين وأكثرهم معرفة بفضلهم وحسن بلائهم في الجهاد وسوابقهم في الإسلام وقد حفظ لنا الحديث وكتب السيرة النبوية وتاريخ الإسلام مثل هذه الحوادث النادرة في الوقوع وهو مما يدل على أمانتها وشهادتها بالحق ومن هذه الحوادث ما وقع لحاطب بن أبي بلتعة وهو ممن هاجر من مكة وشهد بدراً فقد جاء في الروايات أن النبي ﷺ لما أعلم الناس أنه سائر إلى مكة وأسر الأمر فتجهز الناس كتب بن أبي بلتعة كتاباً يخبرهم بمسير رسول الله ﷺ إليهم ثم أعطاه امرأة وجعل لها جعلاً على أن تبلغه قريشاً فجعلته في قرون رأسها ثم خرجت به .

وأتى رسول الله ﷺ الخبر من السماء بما صنع حاطب فبعث عليا والزبير فقال إنطلقا حتى تأتيا روضة "خاخ " موضع بين المدينة ومكة فإن بها ظعينة معها كتاب إلى قريش فانطلقا تعادي بهما خيلهما حتى وجدا المرأة بذلك المكان فاستترا لها وقالا : معك كتاب ؟ فقالت ما معي كتاب . ففتشا رحلها فلم يجدا شيئا فقال علي رضى الله عنه أحلف بالله ما كذب رسول الله ﷺ ولا كذبنا والله لتخرجن الكتاب أو لنجردنك . فلما رأت الجد منه قالت أعرض فأعرض فحلت قرون رأسها فاستخرجت الكتاب منها فدفعته إليهما فأتيا به رسول الله ﷺ فإذا فيه من حاطب بن بلتعة إلى قريش يخبرهم بمسير رسول الله ﷺ إليهم فدعا رسول الله ﷺ حاطباً فقال لا تعجل على يا رسول الله والله إني لمؤمن بالله ورسوله وما ارتددت ولا بدلت ولكني كنت أمر ملصقا في قريش لست من أنفسهم ولى فيهم أهل وعشيرة وولد وليس لي فيهم قرابة يحمونهم فأحببت إذ فاتني ذلك أن أتخذ عندهم يدا يحمون بها قرابتي فقال عمر بن الخطاب دعني يا رسول الله أضرب عنقه فإنه خان الله ورسوله وقد نافق فقال رسول الله ﷺ إنه قد شهد بدراً وما يدريك يا عمر لعل الله قد اطلع على أهل بدر فقال إعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم . فذرفت عينا عمر وقال الله ورسوله أعلم وأنزل الله في حق حاطب ﴿ **يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنْ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي**

سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ(١)﴾[١٥٩]

وخرج رسول الله ﷺ بالقوات الإسلامية الرئيسة من المدينة وكانوا حوالي سبعة آلاف مقاتل وانضم إليهم في أثناء التحرك من القبائل المسلمة ما جعل عددهم يبلغ عشرة آلاف مقاتل ولما كان النبي ﷺ بالجحفة أو فوق ذلك لقيه عمه العباس بن عبد المطلب وكان قد خرج بأهله وعياله مسلماً مهاجراً ثم لما كان بالأبواء فأعرض عنهما لما كان يلقاه منهما من شدة الأذى والهجو فقالت له أم سلمة لا يكن ابن عمك وابن عمتك أشقى الناس بك وقال علي لأبي سفيان بن الحارث : إئت رسول الله ﷺ من قبل وجهه فقل له ما قال إخوة يوسف ليوسف ﴿قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ(٩١) ﴾ [١٦٠].فإنه لا يرضى أن يكون أحد أحسن منه قولاً . ففعل ذلك أبو سفيان فقال له رسول الله ﷺ ﴿ قَالَ لاَ تَثْرِيبَ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ(٩٢)﴾ [١٦٠]

---

[١٥٩] سورة الممتحنة الآية رقم ١

[١٦٠] سورة يوسف الآيات ٩١ ، ٩٢

فأنشد أبو سفيان قائلا :

لعمرك إنى حين أحمل رايــة ۞ تغلب خيل اللات خيـــل محمــد

لكالمدلج الحيران أظلم ليلــة ۞ فهذا أوانى حين أهدي فـــأهتدي

هدانى هاد غير نفسي ودلنـــي ۞ على الله من طردته كل مطـــرد

فضرب رسول الله ﷺ صدره وقال أنت طردتني كل مطرد وأســلم أبو سفيان وحسن إسلامه وقيل إنه ما رفع رأسه إلى رسـول الله ﷺ منذ أسلم حياءً منه وكان رسول الله ﷺ يحبه وشهد له بالجنة وقـال أرجو أن يكون خلفاً من حمزة ولما حضرته الوفاة . قال لا تبكـوا عليَّ فوالله ما نطقت بخطيئة منذ أسلمت [١٦١]

قيادة واعية

وصل جيش المسلمين إلى مر الظهران في الليل فأمر الرســول ﷺ أصحابه أن ينصبوا خيامهم ويوقدوا نيرانهم في معسكرهم فـأوقدوا عشرة آلاف نار أضاء منها الوادي وأهل مكة في عمادة من أمرهم لا يدرون عن الجيش الإسلامي شيئا لأن الطرق والمسالك بين مكة والمعسكر الذي يرابط فيه الجيش الإسلامي كانت مقطوعة تمامـا وقد قام الرسول ﷺ بتقسيم الجيش إلى خمس فرق وكان قائد الفرقة الأولى التي ضمت هيئة أركـان حربـه مـن كبـار المـهاجرين

---

[١٦١] الرحيق المختوم ص ٣٩٩ وزاد المعاد ج ٢ ص ١٦٢ ، ١٦٣

والأنصار وشيوخ القبائل العربية وساداتها .أما الفرق الأربع الأخرى التي كلفت بالسيطرة على مكة فقد أسندت قيادتها إلى أربعة من كبار الصحابة ثلاثة من المهاجرين وواحد من الأنصار وهؤلاء القادة الأربعة هم [١٦٢]

١- الزبير بن العوام وقد كلفت فرقته بأن تستولي على الناحية الشمالية من مكة .

٢- خالد بن الوليد وكلف بأن يدخل مكة ناحية الجنوب

٣- أبو عبيدة بن الجراح كلف أن يدخل بفرقته من الناحية الشمالية الغربية .

٤- قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري كلف أن يدخل بفرقته وكانت كلها من الأنصار أن يدخلوا مكة من جنوبها الغربي.[١٦٣]

وقد أصدر ﷺ الأوامر إلى جيشه ألا يستخدموا السلاح في مكة ولا يقاتلوا إلا من قاتلهم أو اعترض سبيلهم فقال ﷺ "لا تقاتلوا إلا من قاتلكم " وطلب إلى مختلف فرق الجيش أن يكونوا على أهبة الإستعداد لاقتحام مكة وصادف ذلك أن ثلاثة من كبراء مكة خرجوا يتعرفون الأخبار ويتسمعون ما يقال فلما اقتربوا من

---

[١٦٢] من معارك الإسلام الفاصلة – فتح مكة – محمد أحمد باشميل ص ٢٤٤

[١٦٣] فقه السيرة د. محمد سعيد البوطي ص ٢٦٤

الوادي راعهم ما به قال أبو سفيان زعيم مكة مـــا رأيـــت كالليلـــة نيرانا قط ولا عسكرا !! فقال بديل بـــــن ورقـــاء : هـــذه- والله – خزاعة حمشتها الحرب فرد أبو سفيان : خزاعة أقل وأذل مـــن أن تكون هذه نيرانها وعسكرها وكان المسلمون على خطتهم المرسومة يبثون العيون حولهم حتى يأخذوا قريشا على غرة فلا تـــرى مـــن التسليم بداً فعثرت خيالتهم على رجال من قريش أولئـــك ومعـــهم حكيم بن حزام فأخذتهم وعادت بهم مسرعة إلـــى رســـول الله ﷺ ولحق العباس بالأسرى وهو يعلن أنهم في جواره .فلما دخلوا علـــى النبي ﷺ حادثهم عامة الليل فانشرحت صدورهم بالإسلام وإن كـــان أبو سفيان قد تأخر حتى طلع الصبح وفي الصباح جئ بأبي ســـفيان إلى مجلس رسول الله ﷺ وبمسمع من كبراء المهاجرين والأنصـــار فقال له الرسول ﷺ " ويحك يا أبا سفيان " ألم يأن لك أن تعلم أنه لا إله إلا الله ؟ فقال أبو سفيان ما أحلمك وما أوصلك والله لقد ظننتـــت أن لو كان مع الله إله ما أغنى عني شيئاً " فقال له رســـول الله ﷺ ويحكك يا أبا سفيان ألم يأن لك أن تعلم أني رسول الله ؟ فقال أبـــو سفيان " أما هذه ففي نفسي منهاشيئاً " فتدخل العباس وقال له ويحك أسلم ... أسلم قبل أن تضرب عنقك فأسلم وعقد مع النبيﷺ إتفاقيـــة لتجنب مكة ويلات الحرب وطلب العباس مـــن رســـول الله ﷺ أن يجعل شـــيئاً لأبـــي ســـفيان لأنـــه يحـــب الفخـــر فقـــال رســـول

الله ﷺ من دخل دار أبي سفيان فهو آمن[١٦٤] ومن دخل المسجد فهو آمن ومن أغلق بابه فهو آمن . وإنما أعطى رسول الله -ﷺ- أبا سفيان هذه الميزة أرضاء لعاطفة الفخر في نفسه وقد أرضاه بما لا يضر أحد ولا يكلف جهداً ولا عليه أن يتجنب إلى نفس بمثل هذا الثمن الميسور .[١٦٥]

دخول المسلمين مكة:

أعطى الرسول -ﷺ- الأوامر إلى قادة الفرق الأربع المكلفة بدخول مكة وتحريرها وشهد أهل مكة بأعينهم تجمع الجيش خارج أبنيه مكة إزاء المجون والخندمة وهو يتهيأ للإنطلاق كل فرقة نحو المنطقة التي حددت لها من مكة وقاد الرسول -ﷺ- مؤخرة الجيش نفسه .

دخلت القوات الإسلامية مكة بلا مقاومة تذكر ونفذ قادة الجيش أوامر الرسول -ﷺ- فلم يحدث منهم أي قتال عند دخولهم مكة عدا

---

[١٦٤] حديث صحيح اخرجه بن هشام ج٢ ص ٢٦٨ عن ابن اسحاق معضلا - ولكن وصله عن ابن جرير (٣٣٢/٣٣٠/٢) عن حسين عبد الله بن عبد الله بن عباس وحسين هذا ضعيف لكن قال الهيثمي في المجتمع ج ٦ ص ١٦٥ ، ١٦٧ ،رواه الطبري ورجاله رجال الصحيح فالظاهر أنه من غير هذا الطريق الضعيف ورواه أبو داود (٤١/٢)عن ابن اسحاق بإسناد آخر له عن ابن عباس وفيه رجل لم يسم عنده إسناد ثالث ورجاله ثقات لكن لم يصرح فيه ابن اسحاق بالسماع ثم أخرجه هو ومسلم (١٧٢/٥-١٧٣)من حديث أبي هريرة إلا أنه قال "ومن ألقى السلاح فهو آمن "بدل"من ومن دخل المسجد فهو آمن .

[١٦٥] فقه السيرة للغزالي ص ٤١٠

فئة قليلة من قريش أبدت شيئاً من المقاومة وقام بمعالجتها خالد بن الوليد قائد اللواء الخامس جنوبي مكة وبعد أن أتمت الفرق الأربع السيطرة على مكة المكرمة والتقى قادة الفرق بجيوشهم عند منطقة الحجون التي اتخذها الرسول -ﷺ- مقر القيادة .

ودخل رسول الله -ﷺ- وجيشه المسجد الحرام وكان أول شيء بدأ به الطواف بالبيت وكان لشدة الزحام ولكونه راكباً الناقة في أثناء الطواف يستلم الركن الذي فيه الحجر الأسود بالمحجن وهو عصا طويلة لها طرف معوج ودعا بماء فشرب منها وتوضأ والناس يبترون وضوءه والمشركون يتعجبون من ذلك ويقولون ما رأينا ملكا قط ولا سمعنا به مثل هذا [١٦٦]

كما طهر النبي -ﷺ- الكعبة من الأصنام التي كانت تملأ آفاق البيت الحرام ثم ارتفعت راية التوحيد في جميع بلاد العرب وأمر الرسول بلالا فصعد فوق ظهر الكعبة فأذن للصلاة واجتمع الناس حول الرسول -ﷺ- ينتظرون حكمه فيهم فخطب فيهم قائلا :

لا إله إلا الله وحده لا شريك له صدق وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده ثم قال يا معشر قريش ما ترون أني فاعل بكم.؟ قالوا خيرا أخ كريم وابن أخ كريم قال فإني أقول لكم ما قال يوسف لإخوته : لا تريث عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين "

---

[١٦٦] من معارك الإسلام الفاصلة - فتح مكة - محمد أحمد باشميل ص ٢٤٥

اذهبوا فأنتم الطلقاء " ولا شك أن أهل مكة قد فرحوا بهذا العفو الذي أصدره الرسول -ﷺ- لأنه كان غريبا عليهم إذ كانوا ينتظرون من النبي -ﷺ- الذي آذوه وأخرجوه من بلده وحاولوا قتله كانوا ينتظرون منه أن يقتلهم ولذلك دهشوا عندما أصدر عنهم ولم يبق إنسان في مكة بل في جزيرة العرب إلا وتحدث عن العفو بكل إعجاب وبذلك جعلت قلوب القبائل العربية تميل إلى الرسول -ﷺ- لم يسيئ إلى قريش حامية الكعبة كما يعتقد العرب وبدأ الناس يدخلون في دين الله أفواجا ويقولون جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا .

ورسول الله -ﷺ- يكثر من قول " سبحان الله وبحمده أستغفر الله وأتوب إليه " ويقول إن ربي أخبرني أني سأرى علامة في أمتي وأمرني إذا رأيتها أن أسبح بحمده وأستغفره إنه كان توابا فقد رأيتها . قال الله تعالى :﴿ **إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ(١)وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا(٢)فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا(٣)**﴾[١٦٧]

وهكذا كان فتح مكة نقطة تحول حاسمة في تاريخ الدعوة الإسلامية

---

[١٦٧] سورة النصر الآيات ١-٣

٥ـ غزوة حنين

في السنة الثامنة للهجرة – ٦٣٠ م

سبب غزوة حنين

لقد وقعت تلك الغزوة في السنة الثامنة للهجرة عقب فتح مكة مباشرة وكان سببها أن "هوازن " سمعت بانتصار المسلمين في مكة فجهزت جيشا للقضاء على هذا النصر حتى لا يمتد إلى باقي الجزيرة العربية فاجتمع رؤساء هوازن وثقيف وقبائل أخرى وأمَّرُوا عليهم "مالك بن عوف " سيد هوازن على الرغم من سقم رأيه في الحرب فأمر بأخذ نسائهم وأموالهم وأطفالهم معهم في الحرب لتقوية الروح المعنوية حيث يكون الدفاع عنهم وقد اعترض عليه في ذلك "دريد بن الصمة " فأصر مالك على خطته .

وصول الخبر إلى الرسول ﷺ

عندما سمع النبي –ﷺ– بما تفعله هوازن بعث إليهم عبد الله بن حدرد الأسلمي وأمره أن يدخل في الناس فيقيم فيهم حتى يعلم علمهم ثم يأتيه بخبرهم فانطلق إليهم وأقام فيهم حتى سمع وعلم ما قد أجمعوا عليه من حرب رسول الله –ﷺ– فذهب إلى رسول الله –ﷺ– وأخبره بالخبر .[١٦٨]

---

[١٦٨] السيرة النبوية لابن هشام ج ٤ ص ٦٨

خروج الرسول بالجيش:

علم رسول الله ﷺ بمخرجهم إلى حنين فابتسم وقال "تلك غنيمة المسلمين غداً إن شاء الله وخرج جيش المسلمين في عدد يقارب إثنى عشر ألفا بمن انضم إليهم من أهل مكة وخرج أهل مكة ركباناً ومشاة حتى النساء يمشين من غير ضعف يرجون الغنائم وخرج في الجيش ثمانون من المشركون منهم صفوان بن أمية وسهيل بن عمرو ولما قرب الجيش من معسكر العدو صف عليه الغزاة وعقد الألوية . فأعطى لواء المهاجرين لعلي بن أبي طالب ولواء الخزرج للحباب بن المنذر . ولواء الأوس لأسيد بن خضير وكذلك أعطى ألوية القبائل العرب الأخرى [١٦٩] ثم لبس النبي ﷺ درعين والبيضة والمغفر وركب بغلته .

إعجاب المسلمين بكثرتهم :

عندما رأي المسلمون عددهم الكثير اعتمدوا عليه فلقنهم الله درساً يعلمهم منه أن النصر من عند الله عن طريق الإيمان والثقة في عونه وفي ذلك يقول الله تعالى ﴿**لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئاً وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ (٢٥) ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى**

---

[١٦٩] نور اليقين صـ ٢١٨

رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ(٢٦)﴾ [١٧٠]

وصل المسلمون وادي حنين فوجدوا أن العدو قد احتل مضايقة وصعدوا إلى رؤوس الجبال وتهيئوا لاستقبال المسلمين ففاجئوهم بوابل من السهام ينهال عليهم من المكامن العالية وكان الوقت ظلاماً يخالطه ضوء الصبح فارتاع المسلمون وولوا مدبرين ولما تم ما أراد الله من تأديب المسلمين الذين أعجبتهم الكثرة وأذاقهم الله مرارة الهزيمة رد لهم الكرة على الأعداء وأنزل السكينة على رسوله وعلى المؤمنين وكان رسول الله ﷺ واقفاً في موقفه على بغلته الشهباء غير وجل ولا هياب وقد بقي معه نفر من المهاجرين والأنصار وأهل بيته العباس بن عبد المطلب أخذ بحكمة بغلته ورسول الله ﷺ يقول :

أنا النبي لا كذب ۞ أنا ابن عبد المطلب[١٧١]

ثم قال النبي للعباس وكان جهوري الصوت ناد بالأنصار يا عباس فنادى يا معشر الأنصار يا أصحاب بيعة الرضوان فأسمع من في الوادي وصار الأنصار يقولون لبيك لبيك ويريد كل واحد منهم أن

---

[١٧٠] سورة التوبة الآيات ٢٥ ، ٢٦

[١٧١] السيرة النبوية للندوي – ص ٣٥٠ وأيضا صحيح البخاري باب قوله تعالى " إذا أعجبتكم كثرتكم " ومسلم في صحيحه باب غزوة حنين .

يلوي عنان بعيره فيمنعه من ذلك كثرة الأعراب المنهزمين فيأخذ درعه فيقذفها في عنقه ويأخذ سيفه وترسه وينزل عن بعيره ويخلي سبيله ويؤم الصوت حتى اجتمع حول رسول الله ﷺ جمع عظيم وأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنود من عنده فكرَّ المسلمون على عدوهم يداً واحدة فأنتكث فتل المشركين وتفرقوا في كل وجه لا يلوون على شيء من الأموال والنساء والذراري وأسروا كثيراً من المحاربين وهرب من هرب وجرح في هذا اليوم خالد بن الوليد جراحات بالغة وأسلم ناس كثيرون من مشركي مكة لما رأوه من عناية الله بالمسلمين وما هى إلا ساعات قلائل – بعد رمي القبضة – حتى انهزم العدو هزيمة منكرة وقتل من ثقيف وحدهم نحو السبعين وحاز المسلمون ما كان مع العدو من مال وسلاح وظعن .[١٧٢]

جمع الغنائم :

ثم أمر عليه السلام بجمع السبى والغنائم وكانت نحو أربعة وعشرين ألف بعير وأكثر من أربعين ألف شاة وأربعة آلاف أوقية من الفضة فجمع ذلك كله بالجعرانة أما المشركون فتفرقوا ثلاث فرق فرقة لحقت بالطائف وفرقة لحقت بنخلة وفرقة عسكرت بأوطاس[١٧٣] وتابع النبي فلول المنهزمين في أوطاس حتى بدد

---

[١٧٢] الرحيق المختوم ص ٤١٦

[١٧٣] نور اليقين ص ٢٢٠

شملهم أبو موسى الأشعري وكره رسول الله -ﷺ- أن يقتسم الغنائم ومكث ينتظر هوازن بضع عشر ليلة لعلهم يعودون إليه مسلمين فلم يحضر أحد فقسم الرسول ﷺ الغنائم وأعطى المؤلفة قلوبهم منها كثيراً فجاء وفد هوزان مسلماً وسألوه أن يرد عليهم ما أخذه منهم وأسلم مالك بن عوف ونفحه الرسول بعض العطاء واستعمله على من أسلم من قومه وعلى قبائل أخرى وبذلك انتهت غزوة حنين بالنصر بعد الهزيمة توجيها للمسلمين أن يكون اعتمادهم على الله أقوى من اعتمادهم على الأسباب المادية وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم .

وكان رسول الله -ﷺ- قد نهي أصحابه يوم حنين أن يقتلوا وليداً أو امرأة أو أجيراً أو عبداً مستعاناً به وتأسف على امرأة قتلت في حنين .[١٧٤]

ياسبحان الله هذا هو النبي محمد ﷺ يتأسف على قتل امرأة في حنين وأعداء الإسلام اليوم يفجرون بآلاف النساء في كل مكان أمام آبائهم وأزواجهم وأطفالهم ولا يراعون في ذلك حرمة ثم يقتلون الأطفال والرجال ولا يتحرك لهم ساكن وهذا ما نفصله إن شاء الله في الفصل الأخير عند عرض المقارنة بين منهج الإسلام وأعدائه في القتال إن شاء الله تعالى .

---

[١٧٤] سيرة ابن كثير ج٣ ص ٦٣٨

٦ـ غزوة الطائف

في السنة الثامنة للهجرة – ٦٣٠ م

لقد كانت غزوة الطائف امتداداً لغـــزوة حنيـــن. فبعـــد أن شـــتت المسلمون " هوازن " وتعقبوها في نخلة وأوطاس . اتجـــهوا إلـــى مدينة الطائف التي تحصنت فيها ثقيف ومعهم مـــالك بـــن عـــوف النصري قائد هوزان.

ولقد كانت الطائف تمتاز بموقع جبلي وأسوار قوية وحصون دفاعية عظيمة وليس إليها منفذ سوى الأبواب التي أغلقتها ثقيـــف بعـــد أن جهزت لأنفسها طعاماً يكفيها عاماً كاملاً . وهيـــأت مـــن وســـائل العرب ما يكفل لها الصمود.

لقد حاصر المسلمون الطائف بضع عشرة ليلة. ففي رواية عـــروة بن الزبير وموسى بن عقبة أن النبي حاصر أهل الطـــائف بضـــع عشرة ليلة، عن عبدالله بن عمرو قال : حاصر رســـول الله –ﷺ– أهل الطائف فلم ينل منهم شيئاً فقال إنا قافلون إن شـــاء الله . قـــال أصحابه نرجع ولم نفتحه فقال رسول الله –ﷺ– إنا قافلون غداً قـــال فأعجبهم ذلك فضحك رسول –ﷺ[١٧٥] .

---

[١٧٥] رواه مسلم ١٢ ص ١٢٢ باب الجهاد والسير والبخـــاري جـــ ٧ ص ٦٤٠ بـــاب المغازي

وإن المتأمل في نص الحديث يجد أن الرسول -ﷺ- قصد الشفقة على أصحابه والرفق بهم مع أنه -ﷺ- علم أنه سيفتحه بعد هذا بلا مشقة كما جرى فلما رأي حرص أصحابه على المقام والجهاد أقام وجدَّ في القتال فلما أصابتهم الجراح رجع إلى ما كان قصده أولاً من الرفق بهم ففرحوا بذلك لما رأوا من المشقة الظاهرة ولعلهم نظروا فعلموا أن رأي النبي -ﷺ- أبرك وأنفع وأحمد بما فيه وأصوب من رأيهم فوافقوا على الرحيل وفرحوا . فضحك النبي ﷺ تعجباً من سرعة تغير رأيهم والله أعلم.

ثم وجه النبي -ﷺ - نداء إلى عبيد الطائف أن من يترك منهم الحصن ويخرج إلى المسلمين فهو حر فخرج ثلاثة وعشرون من العبيد منهم أبو بكرة الثقفي فأسلموا فأعتقهم.[١٧٦]

ثم رجع رسول الله ﷺ إلى الجعرانة وقسم السبايا والمغانم وأحرم منها للعمرة واعتمر وانصرف راجعاً إلى المدينة وذلك في شهر ذي القعدة سنة ثمان ولما ارتحل المسلمون من الطائف واستقبلوا قال رسول الله ﷺ أيبون تائبون عابدون لربنا حامدون قيل يا رسول الله ادع الله على ثقيف قال اللهم اهد ثقيف وائت بهم ولحق عروة بن مسعود الثقفي وأدرك رسول الله ﷺ قبل أن يدخل المدينة فأسلم ورجع يدعو فيهم فلما دعاهم إلى الإسلام وأظهر لهم دينه رموه بالنبل فقتل شهيداً وأقامت ثقيف بعد قتله اشهراً ثم ائتمروا

---

[١٧٦] وقفات تربوية مع السيرة النبوية ص ٣٥٤

بينهم ورأوا أنه لا طاقه لاهم بحرب من حولهم من العـــرب وقـد بايعوا وأسلموا فأرسلوا وفدا إلى رسول الله ﷺ وانتشر الإسلام فـي ثقيف حتى أسلم أهل الطائف عن آخرهم.[١٧٧]

---

[١٧٧] زاد المعاد ج ١ ص ٤٥٨ والسيرة النبوية للندوي ص ٣٥٩

٧٠ ـ غزوة تبوك

في السنة التاسعة للهجرة ٦٣٠م

سبب الغزوة

بلغ إلى رسول الله ﷺ أن دولة الروم قد جمعت الجموع وهى تريد غزو بلاده الإسلامية وكان ذلك في زمن عسرة الناس وجدب البلاد وشدة الحر حين طابت الثمار والناس يحبون المقام في ثمارهم يتمتعون بها وفي ظلالتهم يستظلون فيها فأمر رسول الله ﷺ بالتجهيز أمراً عاماً .

ويقال في سبب هذه الغزوة أن رسول الله ﷺ اتصل به نبأ تهيؤ الروم لغزو حدود العرب الشمالية قال ابن سعد وشيخه الواقدي : أن رسول الله -ﷺ- بلغه من أبناط أن هرقل رزق أصحابه لسنة وأجلبت معهم لخم وجذام وعاملة وغسان وغيرهم من منتصرة العرب وجاءت مقدمتهم إلى البلقاء . وسواء صحت هذه الرواية أو لم تصح فقد كانت الغاية الحقيقية من هذه الغزوة إرهاب الدولة المجاورة التي كانت تخاف معرتها على مركز الإسلام والمسلمين وعلى الدعوة الإسلامية الزاحفة وقوتها الناشئة ومنعها من أن تطمع في غزو المسلمين في عقر دارهم وأن تعتبرها مالاً سائباً أو لقمة سائغة فمن كان هذا شأنه لا يتقدم بجيوشه إلى هذه الإمبراطورية

العظيمة ويدخل في حدودها متحديا متهدداً وتلك هى الحكمة التي ذكرها القرآن الكريم في سياق الآيات التي نزلت في غزوة تبوك حيث قال الله تعالى :﴿ **يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنْ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ(١٢٣)**﴾[١٨٧] وقد تحققت هذه الغاية فلم يقابل الروم هذا الزحف بزحف مقابل وبتحركات عسكرية بل كان هنالك نوع انسحاب مقابل هذا التحدي السافر وصاروا يحسبون لهذه القوة الناشئة حساباً لم يحسبوه من قبل والحكمة الثانية في هذه الغزوة الجريئة بل في هذه المغامرة الخطرة هى ادخال الرعب في قلوب القبائل العربية التي لم تدخل في الإسلام في جزيرة العرب والقبائل العربية المنتصرة الخاضعة لنفوذ الإمبراطورية الرومانية والتابعة لها وإتاحة الفرصة لها للتفكير في أهمية الدين الإسلامي جدياً وأنه ليس من الفقاقيع والنفاخات التي تعلوا سطح الماء ثم تعلوا سطح الماء ثم تغيب وأن له مستقبلاً زاهراً لعل ذلك يفتح لها الطريق في الدخول في الإسلام الذي ظهر في أرضهم وبلادهم وذلك ما أشار اليه القرآن الكريم بقوله في الذين خرجوا في هذه الغزوة ﴿ **مَا كَانَ لأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلاَ يَرْغَبُوا بِأَنفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لاَ يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلاَ نَصَبٌ وَلاَ مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلاَ يَطَئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلاَ يَنَالُونَ**

---

[١٨٧] سورة التوبة الآية رقم ١٢٣

مِنْ عَدُوٍّ نَيْلاً إِلاَّ كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ(١٢٠)﴾ [١٧٩]

وقد كان الروم لا يزالون يذكرون غزوة مؤته التي لم يقضوا منها حاجة في نفوسهم ولم يشفوها وقد أسفرت عن انسحاب كل فريق راضياً من الغنيمة بالإياب وقد أضعفت رهبة الدولة البيزنطية وجيوشها الجرارة في نفوس العرب[١٨١] كما كانت لهذه الغزوة أهمية كبرى في السيرة النبوية وتاريخ الدعوة الإسلامية وتحققت منها غايات بعيدة الأثر في نفوس المسلمين والعرب ومجرى الحوادث في تاريخ الإسلام.

تجهيز الجيش :

توافد المسلمون بالنفقات لتجهيز الجيش فأنفق عثمان بن عفان رضى الله عنه عشرة آلاف دينار وثلاثمائة بعير بأحلاسها وأقتابها مع خمسين فرسا فقال رسول الله ﷺ " اللهم ارض عن عثمان فإني راض عنه " وأنفق أبو بكر الصديق رضى الله عنه كل ماله وهو أربعة آلاف درهم فقال الرسول -ﷺ- " هل أبقيت لأهلك شيئاً ؟ فقال أبقيت لهم الله ورسوله " كما أنفق عمر بن الخطاب رضى الله عنه بنصف ماله وأنفق عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه بمائة

---

[١٧٩] سورة التوبة الآية رقم ١٢٣

[١٨١] السيرة النبوية للندوي ص ٣٦٤

أوقية وأنفق العباس وطلحة بمالٍ كثير رضى الله عنهما وتصدق عاصم بن عدي بسبعين وسقا من التمر كما أن النساء ساهمن فأرسلن كل ما يقدرن عليه من حُليّ.[١٨٢]

وهكذا تجمع مال كثير ممن يقدرون وهنا جاء إلى رسول الله -ﷺ- سبعة أنفس من فقراء الصحابة - رضى الله عنهم يطلبون أن يحملهم للجهاد فقال لا أجد ما أحملكم عليه فتولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزناً أن لا يجدوا ما ينفقون فأنزل الله قوله تعالى" ﴿**لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلاَ عَلَى الْمَرْضَى وَلاَ عَلَى الَّذِينَ لاَ يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ(٩١)وَلاَ عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لاَ أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنْ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلاَّ يَجِدُوا مَا يُنفِقُونَ(٩٢)**﴾ [١٨٣]

وقد جهز عثمان بن عفان رضى الله عنه ثلاثة من أولئك السبعة الفقراء وجهز العباس اثنين منهم كما جهز يامين بن عمرو اثنين رضى الله عنهم.

---

[١٨٢] النبذة في السيرة النبوية صـ ٤١٤

[١٨٣] سورة التوبة الآيات ٩١ ، ٩٢

خروج الرسول للغزو.

ولما اجتمع الرجال فرح بهم رسول الله ﷺ وهم ثلاثون ألفاً وولي على المدينة محمد بن مسلمة وعلى أهله على بن أبي طالب وتخلف كثير من المنافقين يرأسهم عبد الله بن أبي وقال يغزو محمد بني الأصفر مع جهد الحال والحر والبلد البعيد يحسب محمد أن قتال بني الأصفر معه اللعب والله لكأني أنظر إلى أصحابه مقرنين في الحبال واجتمع جماعة منهم فقالو في حق رسول الله ﷺ وأصحابه ما يريدون من الأرجاف فبلغه ذلك فأرسل إليهم عمار بن ياسر يسألهم عما قالوا فقالوا إنما كنا نخوض ونلعب وجاء إليه جماعة منهم الجد بن قيس يعتذرون عن الخروج فقالوا يا رسول الله إئذن لنا ولا تفتنا لأنا لا نأمن من نساء بني الأصفر وجاء إليه المعذرون من الأعراب وهم أصحاب الأعذار من ضعف أو قلة ليؤذن لهم فأذن لهم وكذلك استأذن كثير من المنافقين فأذن لهم وقد عتب الله عليه في ذلك الأذن فقال : ﴿ **عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ(٤٣)لاَ يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ(٤٤)إِنما يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ(٤٥)وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ(٤٦) لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلاَّ خَبَالاً وَلأَوْضَعُوا**

خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ(٤٧)﴾ [١٨٤]

وتخلف جماعة من المسلمين لا يتهمون في إسلامهم منهم كعب بن مالك وهلال بن أمية ومرارة بن الربيع وأبو خيثمة ثم سار رسول الله ﷺ بالجيش وأعطى لواءه الأعظم أبا بكر الصديق وفرق عليه السلام الريات فأعطى الزبير راية المهاجرين وأسيد بن خضير راية الأوس والحباب بن المنذر راية الخزرج ولما مر الجيش بالحجر وهي ديار ثمود قال ﷺ لأصحابه " لا تدخلوا ديار الذين ظلموا إلا وأنتم باكون " ليشعر قلوبهم رهبة وكان مستعملاً على حرس الجيش عباد بن بشر وكان أبو بكر يصلي إماماً بالجيش ولما وصلوا إلى تبوك وكانت أرضا لا عمارة فيها قال الرسولﷺ لمعاذ بن جبل يوشك أن طالبت بك الحياة أن ترى ما هنا مليء بساتين وقد كان .ولما استراح الجيش لحقه أبو خيثمة وكان من خبر مجيئه أن دخل على أهله في يوم حار فوجد امرأتين له في عريشتين لهما في بستان وقد رشت كل منهما عريشتها وبردت فيها ماء وهيأت طعاماً وكان يوماً شديد الحر فلما نظر ذلك قال يكون رسول الله ﷺ في الحر وأبو خيثمة في ظل بارد وماء مهيأ وامرأة حسناء ما هذا بالعدل . ثم قال والله لا أدخل عريشة واحدة منكما حتى ألحق

---

[١٨٤] سورة التوبة الآيات ٤٣، ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٦ ، ٤٧

برسول الله فهيأ لي زاداً ففعلت ثم ركب بعيرة وأخذ سيفه ورمحه وخرج يريد رسول الله فصادفه حين نزل تبوك .[١٨٥]

الرسول صلى الله عليه وسلم في تبوك

نزل الجيش الإسلامي بتبوك فعسكر هناك وهو مستعد للقاء العدو وقام رسول الله -ﷺ- فيهم خطيباً فخطب خطبة بليغة أتى بجوامع الكلم وحض على خير الدنيا والآخرة وحذر وأنذر وبشر وأبشر حتى رفع معنوياتهم وجبر بها ما كان فيهم من النقص والخلل من حيث قلة الزاد والمادة والمؤونة . وأما الرومان وحلفاؤهم لما سمعوا بزحف رسول الله ﷺ أخذهم الرعب فلم يجترئوا على التقدم واللقاء بل تفرقوا في البلاد في داخل حدودهم فكان لذلك أحسن الأثر بالنسبة إلى سمعة المسلمين العسكرية في داخل الجزيرة العربية وأرجائها النائية وحصل بذلك المسلمون على مكاسب سياسية كبيرة خطيرة بما لم يكونوا يحصلون عليها لو وقع هناك اصطدام بين الجيشين [١٨٦]

وكان رسول الله ﷺ لم يجد جيشاً في تبوك كما قد سمع فأقام هناك أياماً جاء في أثنائها " يوحنا" صاحب أيلة في معينة أهل جرباء وأهل أذرح وأهل ميناء فصالح يوحنا رسول الله ﷺ على إعطاء

---

[١٨٥] نور اليقين صـ ٢٣٤

[١٨٦] الرحيق المختوم ص ٤٣٥

الجزية ولم يسلم وكتب له إجابة لطلبه كتاباً فيه الأمان من الله ورسوله كما كتب كتاباً لأهل أذرح وجرباء ثم توجه النبي ﷺ بجيشه إلى المدينة .

مسجد الضرار

عندما كان رسول الله ﷺ على مقربة من المدينة بلغة خبر مسجد الضرار وهو مسجد أسسه جماعة من المنافقين معارضة لمسجد قباء ليفرقوا جماعة المسلمين وجاء جماعة منهم إلى رسول الله ﷺ طالبين منه أن يصلي لهم فيه فسألهم عن سبب بنائه فحلفوا بالله وقالوا :" أن أردنا إلا الحسنى " والله يشهد إنهم لكاذبون .وقد أخبر الله تعالى رسوله بقوله :﴿ **وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلاَّ الْحُسْنَى وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ(١٠٧)لاَ تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ(١٠٨)**﴾[١٧٨]

فأسر رسول الله ﷺ جماعة من أصحابه رضى الله عنهم ليطلعوا إليه ويهدموه ففعلوا

---

[١٧٨] سورة التوبة الآيات ١٠٧، ١٠٨

[١٧٩] النبذة في السيرة النبوية ص ٤١٨

المخلفون وتوبتهم

جاء إلى رسول الله ﷺ كعب بن مالك الخزرجي وهلال بن أمية ومرارة بن الربيع الأوسيين وهم الثلاثة الذين تخلفوا في الخروج إلى غزوة تبوك مقرين بذنوبهم فلما دخل كعب على الرسول تبسم له الغضب وقال ما خلفك ؟ فقال يا رسول الله لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا لرأيت أن سأخرج من سخطه بعذر ولقد أوتيت جدلاً ولكني والله لقد علمت لئن حدثتك اليوم حديث كذب ترضى به عني ليوشكن الله أن يسخط على فيه ولئن حدثتك حديث صدق تغب على فيه أني لأرجو فيه عفو الله . والله ما كان لي من عذر فقال الرسول -ﷺ- " أما هذا فقد صدق فقم حتى يقضى الله فيك " وأما صاحباه فقد قالا مثل قوله فقال لهما رسول الله ﷺ كما قال لكعب ونهى المسلمين عن كلامهم فاجتنبهم الناس وأمرهم أن يعتزلوا نسائهم وأستأذنت زوجه هلال بن أمية في خدمة زوجها لأنه شيخ وليس له خادم فأذن لهم واشتد عليهم الأمر حتى تاب الله عليهم فأنزل الله تعالى قوله :﴿ **لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ(١١٧)وَعَلَى الثَّلاَثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ**

وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لاَ مَلْجَأَ مِنْ اللَّهِ إِلاَّ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ(١١٨) ﴾ [١٨٠]

وهكذا نزلت آيات كثيرة من سورة التوبة حول موضوع غزوة تبوك نزل بعضها قبل الخروج وبعضها بعد الخروج وبعد رجوعه ﷺ إلى المدينة وقد اشتملت على ذكر ظروف الغزوة وفضح المنافقين وفضل المجاهدين المخلصين وقبول التوبة من المؤمنين الصادقين الخارجين منهم في الغزوة والمتخلفين إلى غير ذلك من الأمور. وكانت غزوة تبوك قد وقعت في رجب سنة تسع هجرية وفي هذه السنة وقعت عدة وقائع لها أهمية في التاريخ وهى :

١- بعد رجوع رسول الله -ﷺ- من تبوك وقع اللعان بين عويمر العجلاني وامرأته.
٢- رجمت المرأة الغامدية التي جاءت فاعترفت على نفسها بالفاحشة رجمت بعد ما فطمت إبنها .
٣- توفي النجاشي أصخمة ملك الحبشة وصلى رسول الله ﷺ عليه صلاة الغائب .
٤- توفيت أم كلثوم بنت النبي ﷺ فحزن عليها حزناً شديداً وقال لعثمان لو كانت عندي ثالثة لزوجتها.

---

[١٨٠] سورة التوبة الآيات ١١٧ ، ١١٨

٥- مات رأس المنافقين عبد الله بن سلول بعد مرجع الرسول من تبوك فاستغفر له رسول الله وصلى عليه بعد أن حاول عمر منعه من الصلاة عليه وقد نزل القرآن بموافقة عمر بعد ذلك .[١٨١]

وهكذا انتهت غزوات الرسول -ﷺ- التي رفعت راية الإسلام خفاقة عالية جهاراً نهاراً أمام كل غادر وحاقد وحاسد وما كانت هذه الغزوات إلا للدفاع عن العرض والمال والدين وكما رأينا شدة الإيذاء والإضطهاد والتعذيب الذي لا قاه الرسول ﷺ وأصحابه في بداية نشر الدعوة الإسلامية مما اضطرهم ان يتركوا ديارهم وأموالهم نهباً للأعداء حتى آن الأوان للمسلمين أن يأخذوا حقهم الذي قد سلب منهم في بداية نشر الدعوة الإسلامية . فهل الدين الإسلامي دين لا يقبل جوار دين آخر .؟

وهل المسلمون قوم لا يستريحون إلا إذا انفردوا في العالم بالبقاء والتسلط ؟

أيها القاريء الكريم تلك هى غزوات الرسول ﷺ وضعتها أمام عينيك لتستطيع أن تجيب على هذه التساؤلات التي مرت والتي دائما يرددها أعداء الله إلى عصرنا الحالي .

---

[١٨١] الرحيق المختوم ص ٤٣٩

ولتتأكد أن الدين الإسلامي دين يدعوا إلى السلم دائما لكنـــهم هـــم الذين اضطروا المسلمين أن يحملوا السلاح في وجوههم بما فعلـــوه معهم فلم يتركوهم يعبدون الله بحريتهم وإنما فعلوا بهم ما أثبته فـــي هذا الكتاب من إيذاء وتعذيب وإهانة وسخرية وتحقـــير واتـــهامات كاذبة ونهب وسرقة علانية . إلى غير ذلك . فـــالمرجو مـــن كـــل إنسان أن يقرأ التاريخ أولاً من مظانه الصحيحة ثم يحكم عليه بدون تحيز وهذا هو منهج الإسلام في القتال وسوف أستخلصه بآدابه فـــي الفصل القادم إن شاء الله تعالى .